العرب
الإثنين 2019/11/04
السنة 42 العدد 11518

شهادات: أردوغان الوجه الآخر لداعش.. فهل سيُحاكمه المجتمع الدولي؟

الحقيقة تتضح للرأي العام العالمي

رغم مساعي تركيا تبييض صفحتها مع الإرهاب والمحاولات الحثيثة التي تقوم بها استخباراتها لتغطية علاقة أنقرة بتنظيم داعش، إلا أن تقارير إعلامية إضافة إلى شهادات حية من عناصر من التنظيم تؤكد العلاقة القوية بين تركيا وتنظيم داعش، وهو ما كشف عنه مقتل زعيم التنظيم أبوالبكر البغدادي والذي أبان عن تراخ تركي في التعاطي مع الملف الأمني من خلال عدم إيفاء أنقرة بالالتزامات التي تعهدت بها خلال الاتفاق على مناطق خفض التصعيد، ما يعني أن حديثها عن محاربة الإرهاب لا يعدو أن يكون مجرد وعود وتضليل.

ديليل زيلان*

تشير الأرقام الرسمية إلى أن قوات سوريا الديمقراطية تحتفظ بما لا يقل عن 12 ألف معتقل من عناصر تنظيم داعش الإرهابي. وقد أجريتُ لقاءات مع ما يربو عن 45 شخصاً من هؤلاء الذين اعترفوا جميعهم بعلاقة الدولة التركية الوثيقة بتنظيم داعش الإرهابي. وقمتُ، بعد ذلك، بنشر تفاصيل هذه المقابلات في وسائل الإعلام المختلفة.

كان آخر لقاء لي في مدينة الشدّادي التابعة لمحافظة الحسكة في سوريا مع القيادي الداعشي أسامة عويد الصالح، الذي اعتقلته قوات سوريا الديمقراطية في دير الزور. اعترف أسامة عويد الصالح، خلال اللقاء، بأنه عمل إلى جانب البغدادي في دير الزور، قبل أن يتم اعتقاله بعد ذلك، وأكد صراحةً على علاقة التنظيم بتركيا. تحدث الصالح كذلك عن تجارة البترول، على وجه التحديد، وكيف كانوا يقومون بنقل الذهب والآثار التاريخية، التي يجلبونها من الموصل، إلى داخل تركيا عبر إدلب.

كان أكثر ما لفت الانتباه في اعترافات أسامة عويد الصالح هو تأكيده على أن البغدادي كان يتحرك تحت غطاء كامل من الحماية، وفرته له الدولة التركية. يقول الصالح "إن البغدادي خرج قبل حوالي خمسة أشهر من دير الزور، متوجهاً إلى تركيا"، وقال صراحة إنه الآن موجود داخل تركيا أو في المنطقة التي تخضع لسيطرة تركيا في إدلب.

وفي الأحد الموافق لـ27 أكتوبر الماضي، استقبلت الدول في جميع أنحاء العالم نبأ مقتله، زعيم تنظيم داعش الإرهابي، بالترحيب. وقامت قوات سوريا الديمقراطية بإصدار بيان حول وفاته، تلاه إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب نبأ مقتل البغدادي للعالم بأسره، في المؤتمر الصحافي الذي عقده في البيت الأبيض.

وقد جاءت المعلومات، التي أدلى بها القيادي الداعشي أسامة عويد الصالح، متوافقة تماماً مع البيانات التي وردت في التصريحات الصادرة عن قوات سوريا الديمقراطية والبيت الأبيض في هذا الخصوص.

تواطؤ تركي

في حقيقة الأمر، فإن عملية "عاصفة الجزيرة" التي بدأتها قوات سوريا الديمقراطية في 1 مايو 2018 ضد تنظيم داعش الإرهابي في دير الزور، هي التي قضت فعلياً على حلم البغدادي بإقامة خلافته المزعومة. ومع تتالي ضربات "قسد" ضد عناصر التنظيم، كانت تركيا هي شريان الحياة النابض لهذا التنظيم الإرهابي، ولم تسجل العلاقة بين تركيا والتنظيم تراجعاً خلال المرحلة الراهنة كذلك، بل ازدادت تلاحماً معه بشكل كبير للغاية. ومما يؤكد ذلك أيضاً تعاونها مع الجيش الوطني الذي يتكون، في الأساس، من بقايا عناصر تنظيم داعش.

من ناحية أخرى، توثق عشرات الصور والأخبار، التي لا تزال تتناقلها وسائل الإعلام الكردية، حتى الآن، مدى قوة العلاقة بين تركيا وعناصر التنظيم الإرهابي، حتى صارت هذه المواقع الإخبارية معروفة لدى الرأي العام العالمي أكثر من أي وقت مضى. ويبقى السؤال: هل سيتسامح المجتمع الدولي مع رجب طيب أردوغان إزاء هذه الحقائق الدامغة، أم ستتم محاكمته بوصفه واجهة التنظيم الإرهابي على العالم؟

> لم يحرك الرئيس التركي ساكنا، بينما يرتكب تنظيم داعش جرائم ضد الإنسانية في منطقة الشرق الأوسط أثناء وجوده على الحدود مع تركيا

وفي السياق ذاته زاد عدم وثوق الولايات المتحدة بتركيا، التي يفترض أنها من حلفائها في المنطقة، وعدم إخبارها بأية معلومات عن عملية قتل البغدادي، من صعوبة تحرك أردوغان على الأراضي السورية. وعلى الرغم من قول المسؤولين الأتراك "شاركنا كذلك في عملية البغدادي"، إلا أن الحقيقة كانت على النقيض تماماً مما يزعمون.

ما يمكننا قوله هو أنّ القوات الأميركية قد تمكنت، بالاستعانة بوحدات استخباراتية تابعة لقوات سوريا الديمقراطية، من قتل البغدادي في منطقة تبعد خمسة كيلومترات فقط عن الحدود التركية، وعلى مقربة من القاعدة العسكرية التركية في قرية باريشا شمال إدلب.

والواضح أنّ أردوغان لم يتردد في إخفاء زعيم أكثر المنظمات دموية في العالم في منطقة خاضعة لسيطرته. وعندما تم تحييده تماماً بعيداً عن هذه العملية، راح يدلي بسلسلة من التصريحات، واحدة تلو الأخرى، في تعبير واضح عن مدى شعوره بالخوف. وبطبيعة الحال، فإن "تكتيك" أردوغان الساذج هذا لن يصمد طويلاً؛ لأن العالم بأسره صار يعرف الآن الحقيقة. ومهما حاول أردوغان، ومهما فعل بعد ذلك، فلن يجدي هذا نفعاً؛ لأن الجميع صاروا ينظرون إليه باعتباره الوجه الآخر لداعش، وأن وجهه الحالي، الذي يحاول الظهور به، هو وجه مزيف.

سياسة تضليلية

لم يحرك أردوغان ساكناً، بينما يرتكب تنظيم داعش جرائم ضد الإنسانية في منطقة الشرق الأوسط أثناء وجوده على الحدود مع تركيا، بل ولم يهتم أردوغان بالأمر من الأساس، كما لم يبدِ أي تعليقات على الانتصارات، التي كان الأكراد يحققونها في صراعهم ضد هذا التنظيم البربري.

وفي المقابل، أثارت الهجمات الاستعمارية التي قام بها أردوغان في شمال شرق سوريا، تحت ذرائع واهية، موجة عنيفة من الاستهجان لدى الرأي العام العالمي.

وفي رأيي، فإن العملية العسكرية الاستعمارية التي نفذها أردوغان مؤخراً ضدّ الشعب الكردي، ستكون المسمار الذي يُدق في نعش أردوغان نفسه؛ لأنه لم يتورع، إبان هذا الهجوم، عن ارتكاب العديد من جرائم الحرب، فضلاً عن أن تلك الهجمات التي بدأها في 9 أكتوبر، وشارك فيها الجيش الوطني الذي يتكون في معظمه من أعضاء سابقين في تنظيم داعش وجبهة النُصرة، قد تسببت في خلق حالة كبيرة من عدم الاستقرار في المنطقة. وقد خرج القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية مظلوم عبدي بتصريح حينذاك، قال فيه "إنّ العصابات التي يطلق عليها أردوغان اسم 'الجيش الوطني'، هي نفسها مقاتلو النُصرة وتنظيم داعش الذين حاربناهم من قبل على هذه الأراضي، ونعرفهم جيداً".

تحولت كل الأنظار، بعد اغتيال البغدادي، إلى أردوغان، وصار الجميع يتحدثون عن علاقته بتنظيم داعش. وفي مقابل ذلك، حاول أردوغان، خلال اليومين الأخيرين، اتباع سياسة تضليلية بالحديث عن عمليات صورية داخل الحدود التركية، زاعماً أنها موجهة إلى عناصر تنظيم داعش، وهو الذي لم يخض مواجهة مباشرة ضد تنظيم داعش، اللهم إلا بعض المواجهات الصورية كذلك.

لقد بات الرأي العام العالمي يدرك جيداً اليوم حقيقة أن أردوغان كان يخلي سبيل مقاتلي تنظيم داعش، الذين زعمت تركيا أنها اعتقلتهم في عمليات سابقة، من الباب الخلفي، بعد أن يعرضهم على وسائل الإعلام؛ لذلك كان من الطبيعي أن يطالب جميع مقاتلي داعش تقريباً، الذين أجريتُ معهم مقابلات، بأن تتم محاكمتهم في تركيا. والواقع أن تلك المطالبات المتكررة من أفراد عصابة داعش المعتقلين لدى قوات سوريا الديمقراطية بأن تتم محاكمتهم في تركيا، إنما تكشف زيف تحركات أردوغان المزعومة على الأراضي السورية.

* كاتب تركي

قضية عزل الرئيس تقسم الأميركيين مع اقتراب الانتخابات

واشنطن – بدأت الولايات المتحدة التي يسودها توتر كبير، الأحد، العد العكسي قبل عام من الانتخابات الرئاسية التي ستجرى في 2020، بينما يعول دونالد ترامب على أنصاره لانتزاع ولاية ثانية وتجاوز التحقيقات لعزله التي تهيمن على الحملة.

وسلك الديمقراطيون هذا الطريق الشاق مجازفين بأن يطغى على النقاشات في انتخاباتهم التمهيدية. وحتى الآن، لم يظهر لهم مرشح واضح للاقتراع من أصل عدد قياسي من الطامحين للرئاسة. وقال ترامب الجمعة بينما كان محاطا بعدد من مؤيديه "لم نكن يوما نتمتع بهذا القدر من الدعم الذي نلقاه، كما هو الحال اليوم"، مستبعدا بذلك الفكرة التي تفيد بأن إجراءات عزله قد تحرمه من ولاية رئاسية ثانية.

بل بالعكس، فقد رأى ترامب أن هذه الإجراءات يمكن أن تثير حماس أنصاره الذين يشكلون "أغلبية غاضبة" متفقة على إدانة ما تعتبره "حملة شعواء" ضده. وفي لهجة تكشف أن الحملة ستكون قاسية، هاجم الرئيس بعنف "الديمقراطيين الذين لا يفعلون شيئا".

ومن التأمين الصحي إلى حيازة الأسلحة والهجرة، يحاول العديد من المرشحين الديمقراطيين دفع حزبهم إلى الانعطاف يسارا. لكن على الرغم من جهودهم، انتقلت القضايا السياسية العامة إلى المرتبة الثانية بحكم الأمر الواقع.

وشهدت عضو مجلس الشيوخ إليزابيث وارن التي تعد من المرشحين الأوفر حظا للفوز بترشيح حزبها الديمقراطي للانتخابات الرئاسية، مشروعها للتأمين الصحي العام يغرق تحت زخم أول تصويت في الكونغرس في إطار إجراءات الاتهام.

ويشير المحلل كريستوفر أترتون الأستاذ في جامعة جورج واشنطن إلى أنه "في الأمد القصير، ستهيمن إجراءات العزل على الأحداث في واشنطن، من التغطية الإعلامية إلى إعداد السياسات بشكل عام".

وتتردد زعيمة الديمقراطيين نانسي بيلوسي لفترة طويلة في فتح تحقيق حول ترامب في مجلس النواب الذي يهيمن عليه حزبها، خوفا من أن تواجه المعارضة تبعات إجراءات تسبب انقساما ولا تلقى شعبية. وبالفعل، كشفت استطلاعات للرأي أن 49 بالمئة من الأميركيين يؤيدون إجراءات العزل و47 بالمئة يعارضونها، في نسب تعكس تماما ميولهم الحزبية.

> 49 بالمئة من الأميركيين يؤيدون إجراءات عزل دونالد ترامب و47 بالمئة يعارضونها

وما يجعل الخطوة تنطوي على مخاطر أكبر هو أن مجلس الشيوخ حيث يشكل الجمهوريون أغلبية وفية له، سيبرئ ترامب على الأرجح. ويخشى الديمقراطيون أن يواجهوا صدمة تبرئته قبل الانتخابات. وقامت بيلوسي بهذه الخطوة في 24 سبتمبر بعد الكشف عن محادثة هاتفية طلب ترامب خلالها من رئيس أوكرانيا فولوديمير زيلينسكي التحقيق بشأن نائب الرئيس السابق الديمقراطي جو بايدن الذي كانت لابنه أعمال في أوكرانيا.

وكان بايدن المرشح الأوفر حظا للفوز بترشيح الحزب الديمقراطي للانتخابات الرئاسية، لكن الجدل حول هذه القضية أثر على صورته وأدى إلى تراجع الفارق بينه وبين المرشحين الآخرين وخصوصا لمصلحة إليزابيث وارن.

أما الأمر المجهول الثاني الذي يؤثر على الحملة فهو البرنامج الزمني لإجراءات العزل. ومن غير المعروف كم سيستغرق هذا التحقيق ولا متى سيؤثر على الحملة، بينما تبدأ عمليات التصويت الأولى في الانتخابات التمهيدية للديمقراطيين مطلع فبراير.

ويلفت المحلل أترتون "في فبراير عندما يبدأ السباق في الانتخابات التمهيدية فعليا، أعتقد أن الحملة ستهيمن على الأحداث الأخرى". والتركيز على إجراءات الإقالة يمكن أن يؤثر على الأقل أهمية بين المرشحين الـ17 لانتخابات الديمقراطيين الذين يتسمون بتنوع غير مسبوق، إذ أن بينهم عددا من النساء واثنين من الأميركيين الأفارقة ومثليا معروفا وأحد المتحدرين من أميركا اللاتينية.

وأوضح أترتون أن هؤلاء المرشحين الصغار "لن يتمتعوا بالتغطية الإعلامية التي كان من الممكن أن يحصلوا عليها في وضع مختلف". وأحدث مثال على ذلك، إعلان المرشح الديمقراطي بيتو أورورك الجمعة انسحابه من الانتخابات التمهيدية لحزبه. وقد كتب "رغم صعوبة تقبّل الأمر، يبدو لي واضحاً حالياً أنّ هذه الحملة لا تمتلك إمكانات للتقدّم بنجاح".

أما ترامب فسيحاول تكرار إستراتيجيته الرابحة في 2016، أي الاعتماد على قاعدته في بعض الولايات الأساسية التي تسمح له بالحصول على أغلبية من كبار الناخبين، والفوز في الاقتراع غير المباشر حتى إذا هزم بمجموع الأصوات.

الديمقراطيون مصدومون نفسيا في عهد ترامب

نيويورك – بعضهم قطع علاقته بأسرته والبعض الآخر هجر شبكات التواصل الاجتماعي ويمتنع عن الخوض في السياسة، وآخرون نُبشَت جراحهم؛ هكذا انعكست فترة دونالد ترامب الرئاسية على بعض الديمقراطيين.

وخلف التظاهرات المتكررة في معاقل الديمقراطيين مثل نيويورك والغضب البادي على مواقع التواصل الاجتماعي، تسببت رئاسة ترامب في الكثير من التوتر الشخصي والنفسي الذي لا يتم التطرق إليه إلا قليلا علنا، لكنه يكشف انقسام الولايات المتحدة قبل عام على الانتخابات الرئاسية في 2020.

وتقول روت، وهي مهندسة معمارية ستينية من أريزونا طلبت عدم كشف اسم عائلتها، إنها من أولئك الديمقراطيين الذين يرفضون دونالد ترامب "من أعماقهم". وعندما اكتشفت في 2016 أن اثنين من أصدقائها القدامى يدعمون ترامب شعرت بـ"الخزي". وأضافت "فكرت مليا في كيفية إدارة صداقتنا" لكن في النهاية "قررت أنه لا يمكنني رفضهما بالكامل (...) ما زلنا أصدقاء لكن أقل قربا". وتابعت "هذا محبط جدا وسيكون هناك دائما حاجز بيننا".

وروى كودي مايرز، وهو مهندس كمبيوتر شاب من كارولاينا الشمالية، لمنتدى إلكتروني كيف تخاصم هو وصديقته مع والدها إثر نشره فيديو مناهضا لترامب. وأضاف أنه لم يعد يرغب اليوم في التحدث عن الأمر حتى لا "يعيد نبش الجراح".

محبط

كثيرا ما يجهد هؤلاء الأشخاص لتفادي القطيعة التامة ويمارسون على أنفسهم رقابة ذاتية ويتفادون الخوض في السياسة. بين هؤلاء دونا رامسل التي تعمل في جامعة كورنيل بشمال نيويوك وتقول إنها تلتزم الحذر وتحاول معرفة الأفكار السياسية لمخاطبيها قبل أي محادثة. وأضافت "لم نعد نتحدث عن السياسة، الأمر بات ضارا. لم نعد نعرف من يفكر في ماذا (...) الأمر جنوني وهذا محبط". وتابعت "في السابق كنا نمزح بشأن السياسة؛ مثلا أناس يعرفون أني ديمقراطية يلصقون في ظهري ملصقا جمهوريا، وكنا نضحك. لكن إذا فعل أحدهم ذلك اليوم سأغضب كثيرا".

وتقول جاكلين ديلي، وهي متقاعدة كاثوليكية ملتزمة من نيويورك، إنها تخلت عن الخوض في السياسة مع أصدقائها في الكنيسة "ومعظمهم من مؤيدي ترامب" حتى لا تخسرهم. وأوضحت "حدث أن جرت بيننا مناقشات صاخبة حول الهجرة والأطفال المحتجزين في أقفاص على الحدود (...) وبعد دقائق قليلة ندرك أن أيا منا لن يغير موقفه فنتوقف عن النقاش".

ويقول كثيرون إنهم هجروا فيسبوك؛ فبحسب بريجيد بيشلار زميلة دونا راميل "مشكلة الشبكات الاجتماعية أنك ترى حقيقة من هم الناس، ولم أعد أرغب في رؤيتهم".

مناخ سياسي سيء

يرى داريل ويست صاحب كتاب حول الانقسامات في أميركا صدر في مارس "الأمر يتجاوز السياسة ويمس المجتمع بأسره، والناس يعانون". ويضيف هذا الديمقراطي الذي يحتفظ بعلاقات جيدة مع شقيقاته المؤيدات لترامب أنه لدى إعداد الكتاب "صدمت بالعدد الكبير من الشهادات من مجهولين يروون مدى تأثر أسرهم بهذه الانقسامات".

ويوضح "الأمر لم يبدأ مع ترامب، لكنه تفاقم معه".

والأخطر من هذا التوتر في العلاقات ربما هو معاناة البعض من الضغط النفسي المستفحل منذ 2016. وتقول المعالجة النفسية بيتي تينغ إن بين مرضاها ضحايا اعتداءات جنسية مع عوارض أججتها رئاسة ترامب. وتضيف أن وصول رجل تباهى في فيديو نشر قبل انتخابات 2016 بتمكنه من الاعتداء على نساء دون التعرض لعقاب، إلى الرئاسة أعاد نبش بعض الجراح.

وتكرر الأمر ذاته في 2018 في معركة سياسية حول اتهامات باعتداء جنسي وجهتها كريستين بليزي فورد (مختصة في علم النفس) إلى القاضي بريت كافانو الذي عين في المحكمة العليا. وتقول تينغ إن ترامب "يعقد عملنا".

والأكثر هشاشة هم المهاجرون أو الأشخاص المتحدرون من أقليات عرقية ودينية أو جنسية الذين كثيرا ما يتعرضون لهجمات حكومة ترامب وأنصارها. ويقول الأخصائي النفسي في مانهاتن مات ايبيل "كل من يشعر بأنه كان ضحية سلوك ظالم من شخص يملك سلطة لم تتم أبدا محاسبته، قد يعاني من صدمة بسبب ترامب".

واعتبر هذا الأخصائي الذي يعالج خصوصا أناسا من البيض من أوساط مرفهة ليسوا مستهدفين مباشرة بمواقف ترامب، أن انتخابات 2016 أظهرت أن المناخ السياسي "يمكن أن يكون له أثر نفسي قوي" وأن السياسة التي لطالما اعتبرت من المحرمات في التحليل النفسي يمكن أن يتم التطرق إليها خلال العلاج. ورأى أيضا أن المناخ السياسي الحالي سيء جدا على الصحة العقلية. وتساءل "من يمكنه أن يبقى سليما ومتوازنا في هذا الظرف؟"، ليجيب "باستثناء الدالاي لاما، لا أحد".